

وُجُوهُ

ذو الوجهين منافق، وذو الوجه الواحد ميت!
يعيب الإنسان أن يصنع له نفساً غير نفسه ووجهاً غير وجهه، وأن يبدو للناس
بوجهين يلعن أحدهما الآخر، ويعلم أنهما — كليهما — ملعونان.

ولا يعيبه أن يكون له مائة وجه ينم كل منها على سمة من سماته ومعنى من
معانيه، ويعرض لنا من ذهنه وسليقته وقلبه في ساعة ما ليس يعرضه في ساعة أخرى؛
لأن كل وجه من هذه الوجوه حق وليس بكذب، وجوهر وليس بطلاء، وصفحة من كتابٍ
لا تتم قراءته إلا باستعراض جميع الصفحات.

ذو الوجهين في كل وجهٍ من وجهيه كذب وطلاء.

وذو الوجوه المنوعة السمات، المعدة الملامح، المفرقة المعاني، راوية صادق الخبر
يرينا كل يومٍ بيئةً جديدةً على صدقه، ولوناً جديداً من تمامه ونقصه، ونفساً جديدةً في
تعبيرٍ جديدٍ.

والرجل الذي لا تختلف له صورة من صورة ولا تمثال من تمثال هو جماد يختلس
عنوان الحياة.

والوجه الذي يصوره مائة مصور فيخرجون جميعاً بطابعٍ واحدٍ لا يتبدل هو جدار
في هيئة إنسان، ولكنه جدار لا تختلف عليه الظلال والألوان.

لنابليون بونابرت مئات من الصور الشمسية والزيتية، ولا نذكر إلا صورة واحدة
لنا حين نبصرها لأول وهلة، هذا وجه إيطالي لا مرأى...! فلولا أننا نعلم أن نابليون إيطالي
من شعبةٍ إيطاليةٍ لقلنا إن الصورة كاذبة، أو أن فراستنا هي التي كذبتنا ما رأيناه،
ولكننا نعلم أنه إيطالي من شعبةٍ إيطاليةٍ؛ فالصورة إذن أصدق من جميع الصور التي
خفيت فيها ملامحه الإيطالية ولم تبرز لنا البروز.